الفصل الثالث
المشاركون في المشاغبة

- مقدمة.
- التلاميذ المشاغبون .
- التلاميذ الضحايا .
- التلاميذ المشاغبون/الضحايا.
- التلاميذ المشاهدون والمتفرجون.

الفصل الثالث
المشاركون في المشاغبة

- **مقدمة**:

قد يعتقد البعض أن موقف المشاغبة هو تفاعل سلبي يقتصر على وجود تلميذين أو شخصين فقط هما المشاغب والضحية باعتبارهم الطرفين الأساسيين للموقف التفاعلي السلبي بينهما. فالمشاغب يمارس سلوكياته الايذائية تجاه آخر ضحية يعجز عن صد هذه الهجمات العدوانية. وفي حقيقة الأمر تعد هذه النظرة نظرة ضيقة ومحدودة جدا وتزيد من مخاطر سوء اكتشاف ظاهرة المشاغبة في البيئة المدرسية .إن طبيعة موقف المشاغبة يدفعنا للتأكيد على أنه موقف تفاعلي سلبي بين عدة أطراف، الطرف الأول هو التلميذ المشاغب الذي لا نراه في اغلب الأوقات ودائماً ما يكون دوره خلف الكواليس والطرف الثاني هو التلميذ الضحية المتقوقع حول ذاته رضاً بقضائه وقدره. أما الطرف الثالث فهو التلميذ المشاهد لموقف المشاغبة والذي يتباين دوره من تلميذ لآخر حسب توجهاته وقناعاته. وسوف نتعرض في هذا الفصل بشيء من التفصيل لكل طرف من هذه الأطراف.

- **التلاميذ المشاغبون** Bullies :

يعتبر التلميذ المشاغب لأقرانه في البيئة المدرسية هو ذلك التلميذ الذي يقوم بممارسة كم هائل من السلوكيات والأفعال السلبية الايذائية سواء كانت سلوكيات لفظية أو سلوكيات جسدية أو غير ذلك تجاه بعض أقرانه المستضعفين في البيئة المدرسية، وتهدف هذه السلوكيات الايذائية إلى إحكام القوة وفرض السيطرة وتحقيق الهيمنة على الآخرين المستضعفين بغية الوصول إلى قهرهم وإذلالهم وإلحاق الأذى النفسي والجسدي بهم .فالتلميذ المشاغب لأقرانه في المدرسة يدرك نفسه على أنه أقوى بكثير من الآخرين أو يدرك نفسه متمتعاً بمهارة فائقة تفوق أقرانه في مجال معين، وهو بمعنى أدق يحظى بسلطة حقيقية تميزه عن زملائه الآخرين كوضع مادي متميز ينعكس على ملبسه أو مأكله أو مشربه. وقد يكون المشاغب متمتعاً بسلطة مكتسبة من قبل الآخرين والمتمثلة في الدعم الاجتماعي الذي يحظاه منهم. ولكن يظل السؤال الجوهري الذي يتم طرحه في كثير من أروقة البحث العلمي المتعلق بالمشاغبة هو كيفية استغلال التلميذ المشاغبة لقوته ومميزاته وتسخيرها في مشاغبة أقرانه علاوة عن السبب في ذلك وهو ما سنتناوله لاحقاً في هذا الكتاب. إن التلاميذ المشاغبين لأقرانهم في المدرسة تلاميذ قلقون بطبعهم وهم غالبا الأكبر سناً في المدرسة وينقصهم التعاطف مع زملائهم وهم عدوانيون مع معلميهم و يتصفون بالتهور والاندفاع وتحكمهم رغبة عارمة في السيطرة على الآخرين. فالمشاغب كما رآه سو Sue

(٢٠٠١) هو الذي يقوم بإهانة الآخرين من حوله لفظياً وجسدياً، هو الذي يدفع زميله من على مقعده أو يركل مؤخرته أو يطلب منه أن يشاركه في مصروفه المدرسي أو يقاسمه في أكله وشربه. والتلميذ المشاغب أيضاً هو الذي يهدد زملائه ويكيل لهم السباب ويسخر منهم ويحقر من شأنهم وينشر الشائعات عنهم، إنه يهدف إلى جعل زملائه يبدوا قذرين. وهو الذي يخوف ضحاياه ويعمل دائماً على جرح مشاعرهم حتى يشعروا بالنقص والذل والمهانة. والمشاغبون بوجه عام إما عدوانيون نشطاء أو متحفظون مناورون، ايجابيون أو سلبيون، فالتلميذ المشاغب العدواني هو تلميذ جريء وشجاع وقوي، واثق من نفسه وواثق في قدرته على قيادة الآخرين باعتبارهم أشبه بالقطيع الذي يجب أن يتم قيادته وتوجيهه والسيطرة عليه. وهذا الصنف من المشاغبين لا يعرفون اليأس والإحباط ولديهم ميول عدوانية قويه أكثر من غيرهم، ودائماً ما يبتكرون أساليب وأفكار جديدة لمشاغبة زملائهم والتحقير من شأنهم.

أما الصنف الثاني من التلاميذ المشاغبين والذين يمكن أن نطلق عليهم تلاميذ سلبيين هم تلاميذ دائماً يثيرون المشاكل ويشعلون فتيل الأزمة، هم من يتسببون في بدء حادثة المشاغبة. ولكي نفهم ذلك بشكل أكثر دقه نقول أن التلميذ المشاغب السلبي يرافق التلميذ المشاغب العدواني أو النشط أشبه بعلاقة " الصبي والمعلم " فالمشاغب السلبي يبدأ في اختبار ضحيته ومدى قدرته على المقاومة ومدى تعاطف الآخرين من زملائه معه، ومتى شعر المشاغب العدواني النشط أن المشاغب السلبي تحقق من الضحية وبأنه لا حول له ولا قوة ينتهي هنا دور المشاغب السلبي ويأتي دور المشاغب العدواني لينقض على فريسته وينهال منها كيفما شاء. ويتصف التلاميذ المشاغبون في البيئة المدرسية بالعديد من الصفات نذكر منها:

- لا يتعاطفون من زملائهم من التلاميذ.
- هم أكثر التلاميذ خرقاً للقواعد المدرسية .
- هم تلاميذ يمارسون سلوكيات غير اجتماعية بوجه عام .
- يرفضون النظام ويتصيدون أخطاء معلميهم.

وعلاوة على هذه الصفات التي يتصف بها التلاميذ المشاغبون في المدرسة، فإن هؤلاء التلاميذ يعانون مستويات مرتفعة من الغضب ودرجات شديدة من الاكتئاب والقلق الاجتماعي، ولا يتخذون استراتيجيات مناسبة لحل مشكلاتهم إيمانا منهم بأن العنف والعدوان هما سبيل العيش في هذا المجتمع القاسي. فالمشاغبون هم نتاج حياة أسرية يسودها العنف والقهر وهو ما يفسر تلك المستويات المرتفعة من القلق التي يعانيها التلميذ المشاغب فالقلق يتولد لديه نتيجة انعدام الدفء العاطفي المستمد من الأسرة وكنتيجة أيضاً لأنواع وأساليب التربية الخاطئة والتنافس والتعقيد الموجود في البيئة الثقافية. وقدم كيث وآخرون Keith et al. (٢٠٠٤) تصنيفاً آخر للتلاميذ المشاغبين حيث تم تصنيفهم إلى :

- مشاغبون مهرة : والمشاغب الماهر هو ذلك المشاغب الذي لديه القدرة على إخفاء سلوكه من أعين المدرسين والإداريين في المدرسة، بل يكون محبوبا من قبل زملائه

وعلى درجة جيدة من المكانة الاجتماعية والناحية الأكاديمية ولديه القدرة على تنظيم الأشخاص من حوله.

- مشاغبون غير مهرة : وهم هؤلاء الذين يميلون إلى جذب الآخرين تجاههم بسبب سلوكياتهم المضادة للمجتمع، وهم في نفس الوقت يميلون إلى تخويف زملائهم ودائماً ما تكون رؤيتهم سلبية للعالم الخارجي.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التلاميذ المشاغبون في المدرسة يعتقدون داخلهم أن المشاغبة ما هي إلا نوع من المرح والترفيه أو طريقة للعب والتسلية فإذا ما سألت أحد التلاميذ المشاغبين عن التلميذ الضحية فإنه يقول لك : إنه تلميذ سيء الحظ أوقعه القدر أمامي ليكون هدفاً للمشاغبة. وينبغي هنا أن نؤكد على أن التلاميذ المشاغبون هم تلاميذ يتسمون بسمات معينة وخصائص مختلفة تماماً عن أقرانهم الآخرين ، ويمكن إجمال تلك السمات في النقاط التالية :

- هم تلاميذ لا يسيطرون على انفعالاتهم وبالتالي هم تلاميذ متهورون ومندفعون.
- معظم التلاميذ المشاغبون يتمتعون بقوة جسدية أو مهارة لغوية تفوق معظم التلاميذ الآخرين.
- يتميز التلاميذ المشاغبون بتقدير ذات وهمي مرتفع وتضخم مرضي في "الأنا ".
- هم تلاميذ لا يقدرون المواقف ولا يشعرون بأية مسؤولية بالنسبة لتصرفاتهم.
- لديهم ميول واتجاهات ايجابية تجاه العنف.
- من السهل جداً أن يشعروا بالإحباط .
- لا يتعاطفون مع زملائهم ولا يقدرون مشاعر الآخرين.
- يعانون من مشكلات نفسية كثيرة.
- ليدهم مشاط زائد وتشتت في الانتباه.
- هم تلاميذ عاشوا خبرات طويلة من الإساءة الوالدية.

التلاميذ الضحايا Victims :

التلميذ الضحية لسلوكيات المشاغبة في المدرسة هو تلميذ لا حول له ولا قوة، إنسان عاجز عن الدفاع عن نفسه، مستسلم لطغيان الآخرين، ارتضى الذل والإهانة راجياً بذلك رحمة المشاغب. إن التلاميذ ضحايا المشاغبة هم أشخاص يشعرون بالقلق وعدم الأمان، حذرون، يعانون من تقدير الذات المنخفض ونادراً ما يدافعون عن أنفسهم أو يواجهون التلاميذ الذين يمارسون المشاغبة عليهم، وهم تلاميذ تنقصهم العديد من المهارات الاجتماعية ويفتقدون الأصدقاء ويعيشون في عزلة اجتماعية ومثل هؤلاء التلاميذ يعيشون في ظل حماية زائدة يفرضها عليها آباؤهم. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي الأسباب التي تجعل بعض التلاميذ ضحايا لسلوك المشاغبة ؟ وللإجابة عليه نقول : بوجه عام يختلف التلاميذ ضحايا المشاغبة في المدرسة عن أقرانهم غير الضحايا في العديد من النواحي يأتي في مقدمتها النواحي الجسدية،

فضحايا المشاغبة هم تلاميذ يعانون من ضعف أجسادهم وقد يعانون من مشكلات تخص نموهم كقصر القامة أو زيادة الوزن أو النحافة الشديدة. وكثير من الضحايا يعانون من تدني مستواهم المادي مما ينعكس على طريقة لبسهم أو نوعية طعامهم وشرابهم، وربما يعانون من مشكلات طبية تجعلهم أهدافاً للمشاغبين . فبالتأكيد لن يقع جميع التلاميذ ضحايا للمشاغبة في المدرسة ولكن الضحايا المحتملين للمشاغبة هم الذين يظهرون سمات وخصائص تجذب المشاغب وتجعله يدرك أن الضحية قد اقترب، ويمكن إجمال المشكلات التي يمكن أن تزيد من احتمالية وقوع بعض التلاميذ كضحايا للمشاغبة في النقاط التالية :

- المشكلات الجسدية كالنحافة أو البدانة المفرطة .
- المشكلات التعليمية كصعوبات التعلم والتأخر الدراسي.
- المشكلات الطبية كاستعمال النظارات الطبية أو سماعات الأذن .
- المشكلات الانفعالية كالخجل ونقص المهارات الاجتماعية .
- المشكلات الاقتصادية كتدنى مستوى الملابس أو تدني وسيلة المواصلات المستخدمة أو قلة المصروف اليومي وغير ذلك .

وضحايا المشاغبة تحديدا ضحايا سلبيون غير عدوانيون وغير مستقرون وهم بعكس الضحايا الآخرين في المدرسة، فالمدرسة قد تحوي سلوكيات عنف أو عدوان أو مشاغبة ومن يقع تحت وطأة كل هذه السلوكيات هم ضحايا للاعتداء وهذا يقودنا إلى نقطة هامة جداً في التعرف على سلوك المشاغبة، وهي النقطة التي يجب أن يدركها كل معلم وكل أخصائي اجتماعي يبحث عن وجود الظاهرة في مدرسته من عدمها، فضحايا العنف والسلوك العدواني ضحايا مقاومون، نعم هم يتعرضون للإساءة وللعنف وللعدوان ولكنهم يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ولو بدرجة بسيطة، أما ضحايا المشاغبة فيعجزون عن ذلك تماماً. ثمة نقطه هامة أخرى في سياق الحديث عن ضحايا المشاغبة في البيئة المدرسية وهي أن بعض التلاميذ قد لا يعانون من مشكلات جسدية أو طبية صحية أو اقتصادية أو تعليمية ولكنهم مع ذلك هم ضحايا للمشاغبة، وهذا ما يزيد الأمر صعوبة في التعرف عليهم، إن مثل هؤلاء الضحايا يطلق عليهم ضحايا مستفزون وهم هؤلاء التلاميذ ثقيلي الحركة غير الجذابين، عديمي الكياسة، نشاطهم زائد، ذوي مزاج حاد. وعموما فضحايا المشاغبة تعرفهم من أول وهلة لأن منظرهم يستدعي الانتباه والدهشة، ملابسهم ملفتة للانتباه (غير نظيفة أو ممزقة أو رخيصة الثمن أو مختلفة عن زملائهم)، لا يهتمون بمظهرهم الخارجي ولا بنظافتهم الشخصية، يعانون مشكلات صحية (سمنة مفرطة، ضعف في السمع، مشكلات في الكلام كالتهتهة) وقد تكون مشيتهم غريبة وجلستهم ملفتة للانتباه .

ويتفق العديد من الباحثين والمنظرين في ميدان البحث المتعلق بسلوك المشاغبة على أن ضحايا المشاغبة يشعرون بالعزلة والوحدة وهم دائماً ما يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية وانفعالية، هم دائماً ما يشعرون بالإكتئاب وتراودهم أفكار انتحارية للخلاص من حياتهم وتلازمهم أعراض جسمية مرضية ومشكلات نفسية ومن أشدها الوحدة النفسية، بوجه عام هم تلاميذ غير سعداء يصاحبهم القلق طيلة الوقت. وبالإضافة إلى الخصائص السابقة فضحايا المشاغبة تلاميذ

رقيقي المشاعر منخفضي تقدير الذات لديهم صعوبات في التعلم ولا يستطيعون تنظيم انفعالاتهم كما أن تحصيلهم الأكاديمي منخفض . وعموما يمكن إجمال صفات التلاميذ ضحايا المشاغبة في البيئة المدرسية في النقاط التالية:

- هم تلاميذ هادئون بطبعهم.
- حذرون محتاطون بدرجة كبيرة.
- تتميز مشاعرهم بأنها مرهفة وحساسة لأتفه الأمور.
- لا يثقون في تصرفاتهم ولا تتوفر لديهم القدرة على المبادأة.
- تقديرهم لذواتهم منخفض جداً.
- يعيشون تحت وطأة المشكلات النفسجسمية (صداع، تبول لاإرادي، مشكلات أثناء النوم،...الخ).
- يفتقدون الأصدقاء في المدرسة.
- تراودهم مشاعر الاكتئاب بشكل دائم .
- يفتقرون إلى المهارات الاجتماعية .

التلاميذ المشاغبون الضحايا Bully / Victim :

ببساطة وعلى غرار المثل الشعبي " أسد علي وفي الحروب نعامة " يعيش بعض التلاميذ الموقفين الأساسين في موقف المشاغبة، فتارة يكون مشاغب وتارة أخرى يكون ضحية للمشاغبة، فالمشاغب / الضحية هو في الأصل تلميذ ضحية لسلوك المشاغبة إما في المراحل التعليمية السابقة أو في المدرسة السابقة أو في المنزل، وما أن يتواجد هذا الضحية في بيئة جديدة لا يعرفه أحد فيها أو في موقف جديد يتحول من ضحية إلى مشاغب فيبحث عن التلاميذ الأصغر منه أو الأقل منه ويمارس عليهم السلوكيات السلبية الايذائية، وقد يتجاوز الأمر ذلك ويعيش التلميذ الدورين في نفس التوقيت وفي نفس المدرسة فيكون مشاغباً في مواقف وضحية للمشاغبة في مواقف أخرى. وتعد هذه الفئة من التلاميذ من أخطر الفئات، نظراً لأنهم يظهرون سلوكاً غير عدوانياً وغير مقبول اجتماعياً كمشاغبين، وفي نفس الوقت أيضاً هم عرضة للمشاغبة ومن السهل تحطيمهم. والتعرف على هذه الفئة من التلاميذ يعد أمراً بالغ الصعوبة لأن أمرهم محير فقد يتم تصنيفهم على أنهم مشاغبين لأقرانهم ومن ناحية أخرى ضحايا للآخرين وهو ما يزيد المشاغبة غموضاً ويضفي عليها مزيداً من الحيرة التي تواجه المعلمين والأخصائيين في المدارس. وعموماً يتصف التلاميذ المشاغبون/الضحايا بالعديد من الخصائص والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

- يظهر التلاميذ المشاغبون / الضحايا أضعف توافق اجتماعي وانفعالي مقارنة بزملائهم الآخرين.
- يعاني هذه الفئة من التلاميذ مشكلات جسدية ونفسية عميقة تدفعهم إلى استهداف التلاميذ الآخرين الأضعف منهم .
- هم تلاميذ تنتابه مشاعر الرغبة في القصاص والانتقام .

التلاميذ المشاهدون والمتفرجون Bystanders :

قد يعتقد القارىء أن التلميذ المشاغب والتلميذ الضحية هما أهم عناصر موقف المشاغبة، ولكن في حقيقة الأمر يعتبر التلاميذ المشاهدون لموقف المشاغبة هم الأهم على الإطلاق، فبدون المشاركة الايجابية والفعالة لهؤلاء المشاهدين لن يكون هناك حل لأزمة المشاغبة، فمنهم من سيدافع عن الضحية ببسالة ومنهم أيضاً وللأسف من سيعزز دور المشاغب ويؤيده، ومنهم وهم الأغلبية العظمى سيقف من أجل الرؤية فقط والتعجب ويتساءل ماذا يمكنني أن أفعل ؟ وفي هذا السياق يتفق معظم الباحثين في مجال المشاغبة على أن التلاميذ المشاهدين لموقف المشاغبة يمكن تصنيفهم في أربعة فئات على النحو التالي :

- فئة التلاميذ المقوين للمشاغب.
- فئة التلاميذ المساعدين للمشاغب.
- فئة التلاميذ المدافعين عن الضحايا.
- فئة التلاميذ المحايدين المتفرجين .

ومن الجدير بالذكر أن التلاميذ المشاهدون لسلوك المشاغبة يمكن أن يسهموا في انتشار هذه الظاهرة وتفاقمها في البيئة المدرسية، ويتأتى ذلك من خلال دعمهم المستمر للتلميذ المشاغب، وهذا الدعم قد يتباين من شكل لآخر وفقاً لقدرة هؤلاء المتفرجون، فمنهم من سيؤيد سلوك المشاغب ويصفه بالسلوك الأمثل في التعامل مع مثل هؤلاء التلاميذ المملين، ومنهم من سيظهر الرضا عن الموقف مما يزيد من راحة التلميذ المشاغب أثناء ممارسة سلوكه السلبي، وآخرون قد يساعدون المشاغب في اختيار ضحيته. وبوجه عام أكدت الملاحظة المباشرة والحية لسلوك المشاغبة أن التلاميذ المشاهدون لها يسهمون بنسبة تزيد على ٨٠ % في انتشارها وتفاقمها . وقدم كيث وآخرون .Keith et al (٢٠٠٤) تصنيفاً آخر للتلاميذ المشاهدين لموقف المشاغبة، ويقوم هذا التصنيف على طبيعة الأدوار التي من الممكن أن يمثلها هؤلاء التلاميذ في دينامية سلوك المشاغبة على النحو التالي :

- الأصدقاء الحميمين.
- المعززون.
- الدخلاء.
- المدافعين.

فالأصدقاء الحميمون هم فئة من التلاميذ يقتربون من المشاغب ويؤيدونه، هم ليسوا بمشاغبين وليسوا بضحايا حاليين، وفي أغلب الظن لديهم خبرات سابقة مع المشاغبة ويعرفون أنها السياسة المتبعة في معظم المدارس ولا حل لها، فيتخذون من قربهم للمشاغب وسيله لضمان عدم النظر إليهم والتعرض لهم، وهم الدروع البشرية التي يستخدمها المشاغب في الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض للمسائلة من قبل الإدارة المدرسية فيكون مثل هؤلاء الطلاب شهود بأن المشاغب ضحية ولم يمارس مثل هذه السلوكيات من قبل. وقد يتعدى دور الأصدقاء الحميمين للمشاغب ليصل إلى النواب، فيكونوا مساعدين للمشاغب في سلوكه أو على الأقل يقومون

بدورهم في تأمين المكان ومراقبته حتى تتم حادثة المشاغبة.أما التلاميذ المعززون للتلميذ المشاغب فهم في مرتبة تلي الأصدقاء الحميمين وشعارهم هو دعم المشاغب بالسكوت وإظهار علامات الرضا والموافقة على ذلك. هم في الغالب ليسوا أصدقاء للمشاغب ولكنهم يدركون قوته ويعرفون ما يرضيه وما يغضبه ولكن إذا ما طلب منهم التدخل فإنهم يمتنعون عن المشاركة ولا يبدون آراء حول حدوث الظاهرة من عدمها.

أما التلاميذ الدخلاء فهم حياديون لدرجة كبيرة ويفضلون عدم المواجهة لا مع المشاغب ولا مع الضحية، يؤمنون بداخلهم بأنهم لن يستطيعوا مواجهة المشاغب ولن يقدروا على الدفاع عن الضحية. أما الأقلية من التلاميذ المشاهدون لحادثة المشاغبة فيتخذون الدور الدفاعي عن الضحية وهم ليسوا بكثير وقدرتهم محدودة في المواجهة. إن معظم التلاميذ المشاهدين لسلوك المشاغبة التي يتعرض لها زملائهم في المدرسة يمتنعون عن المشاركة في الدفاع عنهم بل يعملون على دعم المشاغبين أو على الأقل الصمت نظراً لعدة أسباب نذكر منها :

- معظم التلاميذ المشاهدون لموقف المشاغبة لا يعرفون ماذا يفعلون وكيف يتصرفون.
- يخاف هؤلاء التلاميذ من أن يكون تدخلهم كمدافعين عن الضحية سيزيد الموقف سوءاً وسيجعل التلاميذ المشاغبين يزيدون من جرعات المشاغبة على ضحاياهم رداً لذلك .
- يخاف هؤلاء التلاميذ من أن يصبحوا أهدافاً جديدة للمشاغبين انتقاماً منهم.
- يخاف هؤلاء التلاميذ من وصفهم بأنهم العقبة في وجهة هؤلاء المشاغبين التي تمنعهم عن ممارسة هوايتهم المفضلة وهي المشاغبة.

وخاتمة القول هنا أن التلاميذ المشاهدين لموقف المشاغبة هم عادة لا يتعرضون لمشاغبة الآخرين أو مشاكستهم، فهم عادة يتمتعون بمهارات اجتماعية أفضل وقدرة على التعامل مع الأزمات وإدارة النزاعات فهم يدافعون عن أنفسهم ويحلون مشاكلهم دون اللجوء إلى المواجهة والعدوانية، وهم عادة يقترحون تسويات معينة أو حلول بديلة ويبدون تفهماً أفضل لمشاعر الطرف المقابل وهؤلاء التلاميذ يكونون أفضل وسيط لحل النزاعات بين التلاميذ الآخرين ومساعدة المستضعفين منهم.